محاضرة الأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

بعنوان

فلسفة العلم والتقنية

الأربعاء الموافق ١٣/ ٤/ ٢٠٠٤م

تقديم أ.د. أحمد الشاعر

تقدمة للأستاذ الدكتور رفعت العوضي/

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدنا أن نرحب بكم في اللقاء الدوري، وهو لقاء شهري نلتقي فيه مع واحد من كبار المفكرين حول قضية نعتقد أنها تهم المثقفين بصفة خاصة، وأيضًا يمكن توظيفها على وجه الإجمال والعموم.

وقبل أن نقدم المحاضرة والمحاضر يسعدنا أن نرحب بالأستاذ الدكتور/ عبد الحميد أبو سليمان- رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والأستاذ الدكتور فتحي ملكاوي- المدير التنفيذي للمعهد.

محاضر اليوم هو الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا، وكلكم تعرفونه خير المعرفة، والموضوع هو عن "فلسفة العلم وتقنيته دراسة إسلامية"، وسوف يدير الندوة الأستاذ الدكتور أحمد الشاعر وهو عميد كلية الدعوة بالأزهر سابقًا، وهو الآن أستاذ بجامعة الأزهر، وله أيضًا اسهاماته في هذا المجال "فلسفة العلم ومناهجه من الجانب الإسلامي".

كلمة أ.د. أحمد الشاعر/

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، نحمده تبارك وتعالى ونشكره، ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

كما استمعتم من الأستاذ الدكتور رفعت العوضي، أنا أشكر المقدِم والمقدَم، واشكرالأستاذ الدكتور رفعت العوضي على تقديمه الذكي الثري المبارك، وأشكر ضيفنا الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا.

والدكتور أحمد فؤاد باشا هو رجل نحسبه بإذن الله تبارك وتعالى من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر على خلق وعلم نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، فأنا أعرفه من قبل، عرفته من خلال كتبه خاصة كتابه القيم "فلسفة العلوم بنظرة إسلامية" وهذا الكتاب شدني بالإضافة إلى كتب أخرى، ومقالاته التي تنشر في هذا المضمار تباعًا في "مجلة الأزهر".

شدني أنه رجل فيزياء لكنه لم يتقوقع في إطار الفيزياء، بل انطلق من الفيزياء إلى الفلسفة، وانطلق من الفلسفة إلى فلسفة العلوم. وفلسفة العلوم ميدان جديد في الفلسفات المعاصرة، وإذا كان كثير من الزملاء انطلقوا من فلسفة العلوم

من خلال العلوم التجريبية، وبالتالي كان ميدانهم البحث والتطبيق، فكان المتوقع كذلك أن يكون الباشا على هذا النمط خاصة أنه رجل فيزياء، لكننا وجدنا أن الرجل بسم الله وبحمده وبفضله، وبارك الله في علمه وفي نفسه، ونفع به انطلق من الفيزياء إلى فلسفة العلوم ليقعد لنا منهجًا جديدًا في رؤيته الواضحة المؤكدة، وتلك سمة رجل الجامعة، وسمة المفكر أن يكون له منهج دقيق ورؤية واضحة محددة، بالإضافة إلى أسلوب الطرح. والدكتور الباشا انطلق من خلال الفيزياء ليقعد لنا أن التطبيق العملي لفلسفة العلوم ليس وقفًا على الجانب التجريبي كما أراده الأوروبيون، وكما أراده كثير من الزملاء الذين يكتبون في فلسفة العلم. فإذا بالدكتور الباشا ينظر بنظرة أوسع من خلال إسلامه وإيمانه بالله تبارك وتعالى، ومن خلال نظرة إسلامية في الكتاب والسنة وله جهد كبير وكثير في ذلك، لا أستطيع الان أن أسبق الأحداث وأصادر على موضوع الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا. وخاصة أنه سيتكلم في موضوع "فلسفة العلوم والتقنية" لكن ليس بإطلاق بل من خلال نظرة إسلامية.

نشكر الله سلفًا هذا الجهد الكبير، ونسأل الله سبحانه وتعالى لكم ولنا التوفيق فليتفضل مشكورًا.

فلسفة العلم والتنمية

أ.د. أحمد فؤاد باشا

مقدمة:

إن العلم بتطبيقاته وتقنياته يؤدي دورًا أساسيًا في حياة الأفراد والمجتمعات، ويسهم إسهامًا مباشرًا في رسم تصورات الإنسان عن الكون والعالم الذي يعيش فيه، ومن يستقرئ تاريخ العلم والحضارة لا يجد أدنى صعوبة في ملاحظة أثر التطور العلمي والتقني على مناهج التفكير وطبيعة التحول في مختلف ضروب النشاط الإنساني، إذا ما قارن بين حدود عالم الإنسان منذ كان يقدح حجر الصوان لاستخراج الشرر، إلى أن تمكن من تفجير الطاقة من الذرة، ثم راح يتطلع إلى الفضاء وتعددت رحلاته إلى القمر وسافرت أجهزته ومعداته إلى الكواكب، والأجرام السماوية البعيدة لسبر أغوار الكون السحيق ورصد اللحظات الأولى لنشأته.

من ناحية أخرى، تدلنا الدراسات الإنسانية والاجتماعية التي تتناول أحوال الإنسان منفردًا أو مجتمعًا بغيره، أن العلم بمنهجه ونظرياته يصب مباشرة في نفس الإنسان ووعيه وتجربته، ويلقي بظلاله على أنماط العلاقات والسلوك بين الأفراد والمجتماعات خاصة بعد أن أصبح العلم جزءًا من نسيج الحياة المعاصرة وبلغت الصورة الراهنة للواقع العلمي والتقني درجة من التعقيد والتشابك لا تقتصر على ما نشاهده بأعيننا بل تمتد لتشمل في أحد جوانبها عالم المنتهيات في الصغر على مستوى الذرة ونواتها والخلية الحية وجيناتها، وتشمل في جانب آخر عالم المتناهيات في البُعد والكبر على مستوى المجرات والحشود النجمية السابحة في الفضاء الكوني اللامحدود. وتمتزج هذه المجالات العلمية والتقنية بميادين أخرى على نفس المستوى من الأهمية والخطورة، تشمل ثورة المعلومات والاتصالات وهندسة المعرفة، والذكاء الاصطناعي، وعلوم الفضاء، والمواد الذكية، وسباق التسلح في الميادين البيلوجية والكيميائية والنووية وغيرها.

ويتوقع المحللون لنتائج الأبحاث الجارية في هذه المجالات أن تزعزع الثقة مستقبلاً في كثير من النظريات العلمية السائدة والمقولات الفلسفية القائمة عليها، وأن يطرأ بسببها تحول كبير على وعي الإنسان وتصوره لنفسه وللكون الذي يعيش فيه من هنا تأتي أهمية المعالجة الإسلامية لقضايا العلم والتقنية، انطلاقًا من حقيقة أن المنهج العلمي الإسلامي هو الأقدر على تهيئة الإنسان للتعامل مع كل ما يمكن أن تفسر عنه ثورات العلم والتقنية في المستقبل القريب أو البعيد، لأن المنهج الإسلامي –بربانيته- يخالف في أصل تكوينه، وفي خصائصه، كل المذاهب والفلسفات الوضعية، فالذي وضعه يرى بلا حدود من الزمان والمكان، ويعلم بلا عوائق من الجهل والقصور، ويختار بلا تأثر من الشهوات والانفعالات؛ ومن ثم فإنه يضع للكينونة البشرية كلها، في جميع أزمانها وأطوارها، أصلاً ثابتًا تتطور في حدوده وترتقي دون أن تحتك بجدار هذا الإطار **[**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**]** (سورة الملك: ١٤).

ونحن من جانبنا نرى أن العلم لا يزال بحاجة ماسة إلى صياغة جديدة لنظريته العامة، أو فلسفته الشاملة، باعتباره حالة فكرية لها إطارها العقائدي، ورصيدها الحضاري وهدفها الإنساني، وهذا أمر ضروري لكل من يريد تعاملاً واعيًا وفهمًا حقيقيًا لقضايا الفكر العلمي ومجالاته في حدود أوضاع اجتماعية واقتصادية وثقافية وروحية وأخلاقية لا يمكن إغفالها.

ولسوف تتضح أهمية البعد الإيماني –كضرورة معرفية وحضارية في قضايا الفكر العلمي من خلال عرضنا الموجز لطبيعة البحث في مجالاته المختلفة التي تتجاذبها النزعات الذاتية والموضوعية بدرجات متفاوتة.

<u>مجالات الفكر العلمي (فلسفة العلوم وتقنياتها):</u>

من الطبيعي أن تتشعب مجالات الفكر العلمي في ظل الصورة المركبة لقوة التأثير بين العلم والإنسان والمجتمع وهي مجالات لا يمكن للعلم أن ينسلخ عنها، وتشمل Ontology Of Science

أ- أنطولوجيا العلم: وتعني البحث في كشف طبيعة الوجود اللامادي في القضايا الميتافيزيقة المترتبة على التصورات أو المفاهيم والقوانين العلمية مثل المادة والطاقة والزمان والمكان والكم والكيف والعلة والقانون وغيرها. فمثل هذه المفاهيم تشكل وحدات أساسية في نسيج المعرفة العلمية، بالإضافة إلى أنها تدخل في رسم الصورة التي يتخيلها الإنسان عن الكون وفق ما ترتضيه هويته الثقافية ونزعته الفلسفية أو عقيدته الدينية.

ب- أبستمولوجيا العلم Epistemology Of Science أو "نظرية المعرفة العلمية" وتعني البحث في إمكان المعرفة ومصادرها وطبيعتها، فالبحث في إمكان المعرفة يتضمن النظر في إمكان العلم بالوجود أو العجز عن معرفته، وفيما إذا كان في وسع الإنسان عن طريق العلوم المختلفة أن يدرك الحقائق اليقينية وأن يطمئن إلى صدق إدراكه، وصحة معلوماته، أم ان قدرته على معرفة الأشياء مثار للشك وعدم اليقين والبحث في مصادر المعرفة يتعرض للنظر في منابعها وأدواتها ومناهج البحث في مصادر المعرفة يتعرض للنظر في منابعها وأدواتها ومناهج البحث فيها (الميثودولوجيا Methodology)، ومدى مقدرة هذه المناهج على ضمان سلامة التحصيل المعرفي، أما الجانب الثالث من أبستمولوجيا العلم فيبحث في طبيعة المعرفة العلمية ذاتها من حيث حقيقتها وقيمتها وحدودها بين الاحتمال واليقين، ويبحث أيضًا في ماهية العلاقة بين الباحث وموضوعات بحثه في مختلف العلوم.

ج- أكسيولوجيا العلم Axiology Of Science: وهي ما يعرض للبحث في القيم والمثل العليا ومدى ارتباطها بالعلم وخصائص التفكير العلمي، وباعتبار المعرفة العلمية واحدة من أهم فاعليات النشاط الإنساني وأرقاها. إن كثيرين من العلماء والمفكرين يتوقون إلى الانفلات من النظام المحكم الصارم القائم على العلم الواقعي لكي يستشعروا نشوة التأمل في النواحي الجمالية والجوانب الإنسانية المتعلقة بقيم الحق والخير.

د- سيكولوجية العلم Psychology Of Science: وهي مجال البحث في العمليات النفسية والعقلية التي تتعلق بالكشف العلمي وما يقترن بها من القدرات الإبداعية والخيالية الموجهة لحل المشكلات العلمية، ذلك لأن المخيلة تعد من أعظم القوى الخلاقة في حضارة الإنسان بما تهيؤه من قوالب يستعملها العلماء ليفرغوا فيها حقائق الواقع ويصوغوا منها فروضًا وقوانين ونماذج قابلة للتحقيق والاختبار. فالكشوف العلمية تأتي في المقام الأول تأملات عقلية يوشيها الخيال العلمي السليم ثم تخضع بعد ذلك لمنهج التحليل والتحقيق. والمسائل العلمية لها أصول عميقة في الوعي البشري، وقد تصعب أحيانًا على مستوى التحليل، ولكنها سرعان ما تبدو للعباقرة فيلتقطوها بالحدس أو البداهة ثم يفرغوها في نظريات علمية تتطور مع الزمن وتعاقب أجيال العلماء شيئًا فشيئًا.

ه- سوسيولوجية العلم Sociology Of Science: وتعنى بالبحث في مجال التفسير الاجتماعي لتطور النظريات العلمية ومدى تقبل المجتمع لها، بالإشارة إلى أسلوب التنظير العلمي ونمطه الذي يعكس الصبغة السائدة في مجتمع، وهنا يأتي دور المعايير الثقافية والقيم السلوكية والعقائدية في التأثير على تحديد الاتجاهات العقلية، ومن بينها التفكير العلمي والفلسفي. وإن ما حدث لجاليلو، مثلاً، إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة يدل على أن حالة الثقافة السائدة في زمن ما ومكان ما يمكن أن تكون عقبة تحول دون صياغة الفروض التي تؤدي مباشرة إلى توجيه ملاحظات، وإجراء تجارب، تدور حول وقائع قد سبق تحديدها تحديدًا يجعل منها علمًا.

و- تاريخ العلم History Of Science: وهو مجال يعنى بوصف وتقويم حركة العلم عبر مراحله التاريخية المتعاقبة، للوقوف على عوامل تقدمه أو تعثره من جوانب عدّة، ويتميز تاريخ العلوم عن تاريخ الأحداث الماضية للأشخاص والحضارات بأنه يتكون دائمًا من حقائق قابلة للتحقيق والاختبار والاستنتاج، إذا ما توفرت لها نفس الظروف، أو اتبع في استنتاجها نفس الأسلوب. وسرد الحقائق العلمية تحمه نظرة انتقائية منظمة لهذه الحقائق

وفقًا لمحور أساسي يضمها ويجذبها إلى مسار له اتجاهه الخاص، وذلك لأن الحقائق العلمية ليست كلها على درجة متكافئة من الأهمية والدلالة عندما يتناولها المؤرخ العلمي بالتحليل والتفسير في أي عصر من العصور. ومن هنا تتضح أهمية تاريخ العلم في صياغة نظريته العامة وفلسفته الشاملة، حيث يستحيل انفصال العلم عن تاريخه، باعتباره عملية ممتدة خلال الزمان، وإذا ما ران على العلم جهل بتاريخه فإنه لا محالة مخفق في مهمته.

ويتضح من هذا التعريف العام للمجالات الرئيسية الستَّة التي يدور في إطارها بحث قضايا الفكر العلمي المختلفة، أنها بمثابة علوم مرتبطة بالتحليل المنطقي للغة العلم الموضوعية ومنهجية التعامل معه لتحقيق الغاية منه في الانتقال إلى مرحلة أرقى من التقدم ومستوى أفضل من المعرفة وفهم أعمق لحركة العالم ولهذا فإن هذه المجالات مجتمعة –فيما نرى- تشكل الأركان الستة التي يقوم عليها ما يسمى "علم العلم" Science Of Science، وإن كان بعض الفلاسفة يضيقون واسعًا ويقصرون تعريف هذا المصطلح على الجوانب الاجتماعية ومناهج البحث.

وبطبيعة الحال تختلف طرائق التناول لهذه المجالات باختلاف المذاهب الفلسفية ووجهات النظر المطروحة في ساحة الفكر العلمي والفلسفي، ويطمح كل فريق إلى أن يجعل من تصوره أساسًا لإيمان اجتماعي جديد يكون بمثابة دين إنساني يهدي إلى حقيقة شاملة كاملة، ويتوزع الناس بين هذه التصورات والفلسفات التي هي أقرب إلى أن تكون في الأغلب نظريات اجتماعية لا ترى في الأديان عمومًا منهلاً أو مصدر إلهام يهدي على الفكر السليم والسلوك السوي. لكن هذه الفلسفات الوضعية تظل دائمًا عرضه لاستبدال الآراء الحاضرة بغيرها، وترتعد فرائص أصحابها والمنظرين لها كلما لاح في سماء العلم كشف ثوري جديد.

معيار الحقيقة بين المثال والواقع:

إن التفكير العلمي لم يُعدْ له ذلك المفهوم الضيق القائم على مجموعة من الخصائص تجعله في موقف النقيض تمامًا من التفكير الفلسفي والتفكير الديني، على نحو ما أوضحنا في عرضنا لمجالات الفكر العلمي الرئيسية، فكل فصل قاطع للواقع عن طُرق معرفته، وللموضوع الملاحظ عن عملية ملاحظته، وللقانون العلمي عن منطلقاته وغاياته وحدود صلاحيته، وللعلم عمومًا عن تاريخه وقيمته في حياة الإنسان، وهو فصل غير علمي، لأنه غير موضوعي، ولذا فإن ما تفرزه قرائح المنظرين للفكر العلمي لم يبرأ من تأثير رؤاهم الذاتية، على ما نرى عند "فرنسيس بيكون" وانبهاره بمنهج تجريبي لم يمارسه، أو عند "توماس كون" ونموذجه الإرشادي في بنية الثورات العلمية، أو عند "كارل بوبر" ومنطقة في الكشف العلمي. وجاءت نظريات هؤلاء وغيرهم مبتسرة ومنقوصة لأنها في حقيقتها، وفي إطار ذاتيتها تفرض رؤية معينة للأشياء وتحدد منطقًا هلاميًا للكشف العلمي ونطاقًا محددًا للخبرة الإنسانية، وهذا من شأنه أن يشكك في قدرتها على تفسير حركة العلم في كل مرحلة يبلغها من مراحل تطوره.

ومن عجب أن تلجأ الفلسفات العلمية الوضعية إلى ترسيخ تصور "مثالي" للموضوعية العلمية في عقول الناس حتى تؤكد ميزتها بالإسناد إلى العلم في بناء نسق فكري متكامل، تحسبه معبرًا عن قضايا الواقع الإنساني، لكن مجالات الفكر العلمي التي تقوم عليها "علوم العلم" تجيز لنا القول بأن النتيجة النهائية التي يتوصل إليها باحث ما لا تكون موضوعية على إطلاقها، بمعنى أنها لا تكون مستقلة تمامًا عن أي ذات، وذلك لأنها تعبر تعبيرًا جامعًا مانعًا عن الحقيقة الكاملة لواقعة من الوقائع. فتاريخ العلم يحدثنا بأن القانون الطبيعي الذي يصف حقيقة علمية ما لم يكن في يوم من الأيام قانونًا عامًا مطلق الصدق واليقين، بل هو محدود دائمًا في نشأته وتطوره وتطبيقه بعوامل المكان والزمان والخبرة الذاتية للإنسان.

وإن شئنا إيضاحًا أكثر لطبيعة القانون العلمي، فإنه أشبه بشجرة ظليلة مثمرة، جذورها تناظر المبادئ والفروض التي قام وتغذى عليها، وجذعها يمثل

الخطوات التجريبية والنظرية التي أدت إلى صياغته اللفظية، أما الأغصان والثمار فتناظر نتائجه المستنبطة منه فكريًا وتقنيًا.

ولعل في هذا التشبيه ما يساعدنا على تحديد المعيار الذي نحكم على أساسه بأن هذا القانون أو ذاك يعبر بالفعل عن حقيقة موضوعية أو حتى عن جزء أو طرف من هذه الحقيقة، فالوحدة العضوية بين أجزاء هذه الشجرة "شجرة القانون العلمي" تقتضي أن تكون مصداقية القانون العلمي نصًا وروحًا منسجمة تمام الانسجام مع المبادئ والعمليات التي صيغ على أساسها، ومع النتائج والتطبيقات التي أسفر عنها، ومن ثم يمكن القول بأن المعيار الأمثل الذي يحملنا على تصديق قانون علمي ما، باعتباره معبرًا في لفظه ومضمونه عن حقيقة علمية موضوعية بأعلى درجة ممكنة من اليقين، هو في رأينا ذو شقين متكاملين ومتلازمين.

أما الشق الأول فيتعلق بالقدرة على استنباط هذا القانون نفسه منطقيًا من مبادئ أساسية واضحة في ذاتها بحيث لا تحتاج إلى برهان أو قابلة للتحقيق تجريبيًا بطريقة مباشرة.

وأما الشق الثاني فيتعلق بالقدرة على أن نستنبط من هذا القانون نتائج يمكن تحقيقها أيضًا بالطرق التجريبية والبرهانية المباشرة.

ويحدث التكامل بين هذين الشقين لمعيار الحقيقة العلمية الموضوعية عندما نجد أن مبادئ القانون الطبيعي قد وجدت ما يبررها في النهاية من خلال "ثمارها" أي من خلال نتائجها التطبيقية، وليس لمجرد أنها واضحة في ذاتها وغنية عن البرهان، ويدلنا تاريخ الكشوف العلمية وتطورها على أن تحقيق التكامل التام من جميع جوانبه بين هذين الشقين لمعيار الحقيقة العلمية الموضوعية يكاد يكون أمرًا مستحيلاً، إذ أننا كثيرًا ما نلاحظ أن معظم المبادئ والفروض التي ينطلق منها العلماء في استنباط القوانين تكون جانحة إلى الخيال، كما أنها لا تستمد صحتها بالضرورة من صحة النتائج المستنبطة منها على أساس اتفاقها مع الوقائع المشاهدة. فالتجربة العملية لا تثبت فرضًا ولكنها تعززه. ورغم هذا قد يكون الفرض الصحيح مختلفًا اختلافًا كليًا، فنحن لا نستطيع الجزْم بأن فرضًا معينًا هو الفرض الصحيح لأننا لا نستطيع أن نتصور كل الفروض الممكنة.

والذين يتصورون أنهم يحصلون من العلوم الكونية على حقائق علمية مطلقة الصدق واليقين، إنما يبدءون في التعامل مع شجرة القانون العلمي من منتصفها، ويفكرون فقط في كيفية ظهور الثمار من الجذع دون اعتبار للجذور. أنهم بذلك يقطعون الشجرة عند منتصفها.

ويزخر تاريخ العلم بالعديد من النظريات والقوانين العلمية التي تؤيد تصورنا الذي طرحناه حول معيار الحقيقة العلمية وصحة دورانها مع موضوعية القانون العلمي.

وإن شئنا مثالاً توضيحيًا يكفي أن نشير إلى قوانين الحركة والجاذبية منذ بدأت في صورة تأملات عقلية خالصة عند فلاسفة الإغريق، ثم خضعت للملاحظة والتجربة على أيدي علماء الحضارة العربية الإسلامية، ومن بعدهم علماء عصر النهضة الأوروبية الحديثة، وكان الخطأ الذي وقع فيه أنصار "الحتمية المادية" يكمن في أن نظرتهم القاصرة على طبيعة القانون العلمي وحدوده جعلتهم لا يرون من شجرته إلا الجذع والغصون والثمار، فأيقنوا بأن منظومة قوانين نيوتن ونتائجها تمثل كل حقائق العالم الذي يعيشون في كل زمان ومكان ولم يلبث مذهبهم المادي أن تعرض لطعنات العلم نفسه الذي تخلى في بعض قوانينه التفسيرية أو الوصفية عن مبدأي السببية والاطراد، سواء فيما يتعلق بالثوابت الفيزيائية الكونية مثل سرعة الضوء وثابت بلانك وثابت الجذب العام، أو ما يتعلق بالظواهر التلقائية مثل اضمحلال الذرات المشعة، أو ما يتعلق بالتغيرات التي تحدث داخل الذرات العادية وينتج عنها ظواهر، مثل الأطياف، تتحدى الدقة المطلقة التي خلعوها على قوانين الميكانيكا النيوتينية العاملة في الطبيعة.

ومن الجدير بالذكر أن نيوتن نفسه لم ينظر إلى القوانين التي صاغها على أنها تمثل الحقيقة النهائية، فهو لم يغفل أهمية "الجذور" في اكتمال الحقيقة المرتبطة بشجرة القانون العلمي.. وفي خطاب شهير أرسله إلى أحد العلماء كتب يقول "لست أصدق أن المادة الخالية من الحياة أو الإدراك يمكنها أن تعمل أو تؤثر على مادة أخرى بدون وساطة شيء غير مادي وبدون اتصال ثنائي.. ولا أن الجاذبية كامنة في المادة، وفطرية وجوهرية بالنسبة لها. لدرجة أن جسمًا ما يؤثر في جسم

آخر على بُعد منه ومن خلال فراغ، إن هذا بالنسبة لي أمر غير مفهوم حتى أنني لا أصدق أن إنساناً أوتي ملكة مؤهلة للتفكير في المسائل الفلسفية يمكن أن يقع فيه".

وعندما جاء أينشتين في القرن العشرين أوضح أن الذي يجب اختبار صحته بالتجربة العلمية هو أسلوبنا في التفكير. لقد نجحت قوانين نيوتن نجاحًا باهرًا في تفسير حركة الكواكب حول الشمس، ومع ذلك فقد توجد قوانين أخرى مبنية على فروض مختلفة وتنجح أيضًا في تفسير ذلك. وبالفعل قدّم أينشتين تصوره للاتصال رباعي الأبعاد الذي كونّه اندماج المكان والزمان اندماجًا تامًا يختلف عن أي منهما في حالته المنفردة، واتضح أن هذا التصور يهيئ أنسب إطار يصلح لمناقشة ظاهرة الجاذبية وتفسيرها من منظور جديد تمامًا.

لقد رأى نيوتن أن الكواكب يسلك مسارًا منهجيًا في فضاء مستقيم أما أينشتين فتصوّره على أنه يسلك مسارًا مستقيمًا في فضاء منحن. أنهما ينظران إلى نفس الموضوع بنظرتين مختلفتين!! لم يعد أينشتين بحاجة إلى استخدام "القوة" ومصطلحاتها وتأثيرها، فقد جعل "مجال الجاذبية" هو الذي يؤثر على الفضاء وليس من خلاله، وجعل الإنسان عبر التاريخ مجرد عابر سبيل خلال وجود رباعي الأبعاد بدلاً من أن يكون في وجود ثلاثي الأبعاد يتغير مع الزمن.

لكن.. هل الكون رباعي الأبعاد حقًا؟ إنها ليست أكثر من صياغة مفيدة لعرض تصور أعم وأشمل عن الأحداث الفيزيائية.

نظرية العلم الإسلامية:

لعل بإمكاننا الآن أن نخلص إلى نتيجة مؤداها أن كل حقيقة يصل إليها العلم الطبيعي هي حقيقة نسبية لا مطلقة، وجزئية لا كاملة، فالحقائق العلمية، حتى وإن بدت لنا شبه مؤكدة، هي مجرد احتمالات راجحة وليست قطعية الدلالة ولا مطلقة الصدق واليقين.

إن الحقائق المطلقة في هذا الكون هي سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول، التي حفظها في نظام كوني بديع لا يملكه إلا هو سبحانه بحكم ألوهيته المهيمنة على الوجود، وبحكم علمه المحيط غير المقيد بالزمان والمكان، وبحكم أنه سبحانه

هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهي الصفات اللازمة لعلم الحقيقة القطيعة المطلقة، وهي الحقيقة التي يقضي الله منها ما يشاء في كتابه العزيز ومن ثم لا نحتاج إلى برهان خارج عنها أو التي يطلع عباده من العلماء على أجزاء منها بقدر ما يناسب مقدرتهم على تسخيرها لأداء أمانة الخلافة وإعمار الحياة على الأرض، وبما يؤكد في إدراك المؤمن حقيقة الألوهية وآيات الله في الآفاق وفي الأنفس فتقرّ في ضميره الطمأنينة لتلك الحقيقة كما تقرّ في عقله الراحة والقناعة والاستقامة. فالله ﷻ يدع للإدراك البشري أن يبحث وأن ينقب عن سنن الكون وقوانينه، وأن يعرف منها ما هو مقدّر له أن يعرف لينتفع به في تنمية الحياة وترقيتها.

ولعل في هذا ما يزيل اللبس عما يظنه البعض خطأ من أن ما يصل إليه العلم الطبيعي من قوانين فيزيائية يكون معبرًا عن السلوك الفعلي للمادة أو الظاهرة قيد البحث، فهي في حقيقة الأمر قوانين لا سيطرة للإنسان عليها لأنها أوامر الله المنظمة لحركة الكون، ولما كانت طبيعة المعرفة الإنسانية تتطلب إجراء البحث والدراسات المكثفة على أجزاء محدودة جدًا من الكون وظواهره، وبمعزل عن بعضها البعض دون إلمام بكافة الجوانب المتصلة بموضوع البحث والمؤثرة عليه، فإن إدراك الحقيقة الكاملة المطلقة أو طلب الموضوعية المطلقة، يظل دائمًا هدفًا أسمى يسعى إليه العلماء من خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرة العلم تتم بتكافل جهودهم وتنافسهم في السبق لتحقيق كشوف عملية جديدة تلقى المزيد من الضوء على حقائق جزئية في الواقع الكوني الثابت.

وإزاء هذا الفارق الكبير الذي أوضحناه بين الصورتين المثالية والواقعية فيما يتعلق بجزئية "الحقيقة العلمية" وفي ضوء ما وجدناه من تفسير مقبول عقلاً في التصور الإسلامي، تصبح كل قضايا الفكر العلمي المطروحة من خلال مجالاته الستة في "علوم العلم" بحاجة ماسة إلى صياغة إسلامية جديدة تحفظ للعلوم الطبيعية موضوعيتها، وتقدم نموذجًا أمثل للوفاء بمطالب العلم المتجددة، وهو ما ننشده وندعو إليه باسم "نظرية العلم الإسلامية" وفق منهاج إسلامي رشيد يضمن مواصلة التقدم العلمي والتقني، ويعيد للتفكير العلمي لدى البشر طبيعته الحقة

بوصفه بحثًا موضوعيًا عن الحقيقة أينما وجدت، يعلو على كل ضروب الهوى والتحيز ويزن كل شيء بميزان واحد هو ميزان الإسلام.

وإذا كانت الصياغة النهائية لنظرية إسلامية في العلم والتقنية والشهود الحضاري لم تتوفر بعد، فإن هذا لا يمنع من مناقشة قضايا الفكر العلمي في ضوء ملامحها الرئيسية التي أرشدتنا إليها نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأمين **r**، وفي إطار خطوطها البعيدة المثبتة في تراث الأجداد من علماء الحضارة الإسلامية، وعلى هدى شموعها التي أضاءتها اجتهادات العديد من المفكرين الإسلاميين على مر العصور، دونما إغفال لحقائق العصر وآمال المستقبل.

على أن صياغة مثل هذه النظرية يجب أن تتم في إطار نظرية أعم يستعين بها المسلمون على تغيير واقعهم وتطويره بمعايير الإسلام وأدواته في التغيير والتطوير، وينظرون من خلالها النظرة الإسلامية الرشيدة لقضايا الكون والحياة، ويواجهون بها كل ضروب التحدي الوافد أو الموروث وتكون في نفس الوقت بيانًا لغير المسلمين تبنى عليها البشرية آمالها في الخلاص من حالة القلق التي تعاني منها حضارتهم المادية التعيسة. وعندئذ سيكون لها أجل الأثر في تصحيح وجهة العلوم لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا ما درسوا الإسلام في حقائقه، واستفادوا منه في إصلاح شئون حضارتهم.

ويبقى أن نؤكد على أن خيوط هذه النظرية الإسلامية لا تزال بحاجة إلى نساجين مهرة في كل علم وفن، وإلى أن يأذن الله بمجيئهم، يجب علينا أن نهيئ لهم النول الصالح، وأن نعدّ لهم خيوط الغزل من القطن والصوف والحرير.

خاتمة:

إن مبادئ الإسلام السامية وقيمه الهادية ومنهجه الرشيد هي أفضل المعايير التي تحدد للإنسان ما يجوز فعله بالمعلومات التي جمعها والقوانين العلمية التي اكتشفها، والتقنيات الجديدة التي يطورها ويستخدمها، وفي هذه الحصيلة الإيمانية للمعرفة تكمن القوة الدافعة للإنسان نحو حب الخير والحق والجمال، ويتحقق إنقاذ

هذا العالم الممزق المتناحر المهدد بالدمار بين لحظة وأخرى إذا ما أسيء استخدام الإنجازات العلمية والتقنية بمعزل عن القيم الإيمانية الهادية.

كلمة أ.د. أحمد الشاعر/

بسم الله ما شاء الله، لقد أسعدتنا فأمتعتنا، إن القضية المطروحة تؤكد أن الأمة الآن هي في أمس الحاجة إلى منهج علمي فلسفي، يتواكب مع طبيعة العصر الذي نعيشه. فهذه الظروف التي تجتاح الأمة الإسلامية تؤكد أن مخرجها بإذن الله تبارك وتعالى من منطلق إيمانها بالله أولاً ثم المنهج العلمي الفلسفي المناسب للطرح. لا نريد أن نعقب كثيرًا على ما قاله أ.د. أحمد فؤاد باشا، فهو لا يحتاج إلى تعليق ولكن أردت أن أركز على بعض الإشارات. اليابان عندما هزمت في الحرب العالمية الثانية جمع الإمبراطور الياباني القادة ليبحثوا لماذا هزمت اليابان؟ فكانت النتيجة في كلمة واحدة (هزمنا بالعلم). أمريكا عندما استشعرت خطر الاتحاد السوفيتي في غزو الفضاء والعلوم الأخرى كان هناك تقرير كما أشار الدكتور أحمد فؤاد باشا، هذا التقرير كان عنوانه "أمة في خطر"، بسبب العلم والتعليم.

الواضح من خلال الطرح كما أشرت من قبل إلى منهج الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ورؤيته المحددة، التكاملية والمنهج التكاملي، رؤية متكاملة نحن محتاجون إلى منهج متكامل لا الجزئيات فقط سواء كان في العلوم أو بعض العلوم التجريبية أو بعض العلوم الإنسانية، فنحن محتاجون إلى طرح متكامل يقوم على الرؤية المتكاملة والمحددة الهدف والغاية وإلى هذا المنهج المتكامل الذي يجمع بين مناهج العلم المختلفة، وتشير الآية القرآنية إلى ذلك [وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] (النحل: ٧٨).

مناهج العلم المتكاملة كلها في هذه الآية بصورة مبسطة يفهمها الرجل العامي كما يفهمها المتخصص.

أشير إلى الآية الكريمة [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] (فاطر: ٢٨)، كلمة العلماء لم تذكر في القرآن الكريم إلا في هذه الآية في سورة فاطر، سياق الآية يشير إلى [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ] (فاطر: ٢٧) سياق الآيات تشير إلى علوم المياه والجيولوجيا، وإلى علوم الإنسان وإلى علوم النبات ثم تجيء الآية وتعقب في آخرها [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] (فاطر: ٢٨)، فهنا إشارة إلى أن العلماء هنا يعني فيما بعد، والله أعلم "العلماء التجريبيون"، لماذا؟ لأن العلماء التجريبيين عندما يغوصون في أعماق الكون هم أقدر الناس على خشية الله سبحانه وتعالى من غيرهم.

كلمة "اقْرَأْ" والأمر القرآني فيها ليس أمر تكليف، الله تبارك وتعالى يعلم علم اليقين أن سيدنا محمد r لا يقرأ ولا يكتب، ولكن يأمره بالقراءة، فالأمر هنا ليس تكليفًا، ولكن ما نفهم منه أنه أمر تكويني، الله الذي كون فيه الخلق يكونه قارئًا ويكونه عالمًا بعلم تكويني من الله سبحانه وتعالى هو "الوحي"، ولذلك كان منطوق الآية [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ] (العلق: ١-٥)، فالعلم عندنا دين، ولا إسلام حقيقة بغير علم، والعلم عندنا فريضة لكل مسلم، ليس هناك دين على وجه الأرض من قبل، يفرض العلم على إتباعه فرضًا كما هو الحال في الإسلام، وليس هناك كتاب إلهي على وجه الأرض من قبل ولا من بعد يفرض الفكر والعلم على اتباعه فرضًا كما يفرضه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أشير أيضًا إلى التكاملية، والربط بين الفكر والواقع حالة انفصام النكد التي تعيشه الأمة، ويجب أن نواجهها في التربية من البداية، التربية في البيت والأسرة، وفي المدرسة، وفي أجهزة الإعلام بالإضافة إلى البحث العلمي.

المنهج الإسلامي هو الرؤية الإسلامية الكاملة للكون، ومفهوم العبادات أوسع وأشمل ويشمل حياة الإنسان بكل أبعاده [قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] (الأنعام: ١٦٢)، هذه رؤية ينبغي أن نوضحها لإخواننا وأبنائنا

لمفهوم العبادة، ويتسع المفهوم ليشمل كل سلوكيات الإنسان في حياتـــه، وللعبـــادة روح إذا تحققت تلك الروح في العبادة كانت مقبولة. الصلاة عبادة إذا تحقق فيهـــا الإخلاص الذي هو روح العبادة كانت الصلاة مقبولة، تقول لصاحبها حفظـــك الله كما حفظتني، وإذا افتقد الإخلاص في العبادة كانت مجرد حركات يفهمها الإنسان على أنها عبادة، وهي دخيلة عليها، وتقول لصاحبها كما ورد في صـــحيح الـــسنة "ضيعك الله كما ضيعتني".

العمل الدنيوي عبادة إذا توافر فيه شرط بسيط جدًا وهو توجه النية إلـــى الله سواء كان في الشارع أو في العمل أو المدرسة أو المختبر أو في المزرعـــة، أي عمل دنيوي بحت به إخلاص لله ونية خالصة لله تعالى يتحول بذلك إلـــى عبـــادة تكفر عن صاحبها بعض السيئات.

بالنسبة لفلسفة العلم وعلم العلم، وأنا أشكر الأستاذ الدكتور لاهتمامـــه بهـــذا الموضوع، وكان هناك تساؤل طرح في كتبه، من هو الأجدر على الطـــرح فـــي فلسفة العلم، أهو رجل العلم أم رجل الفلسفة؟ الآن أنا أسلم الراية للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا، بأن رجل العلم أمثال الدكتور أحمد فؤاد باشا، هو الأجدر علـــى هذا الطرح وزملائي في قسم الفلسفة بجامعة الأزهر نسلم الراية ومن هنـــا كـــان انفعالنا لهذا الموضوع وإدخال مناهج البحث عندنا وخطة الدراســـة فـــي أقـــسام الفلسفة جميعها في جامعة الأزهر ونحمد الله سبحانه وتعـــالى. وأتـــرك الوقـــت للتعقيبات.

مداخلة من باحثة/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هل لنا أن نطلع على أساسيات العلم مـــن وجهة نظر غربية؟ ولماذا لا يكون لنا نحن المسلمين قواعد للعلوم يرجـــع إليهـــا الباحثين؟ لأن الإطلاع على الغربيين وقواعدهم العلمية به مخاطرة الإطلاع علـــى أشياء قد تخالف عقائدنا.

تعقيب أ.د. أحمد فؤاد باشا/

أحب أن أركز هنا متى يكون الشيء إسلاميًا، إذا كان مستمدًا مـــن ثوابـــت الإسلام في القرآن والسنة، أو لا يتعارض مع القرآن والسنة، لأن المشكلة لـــدى كثير من المسلمين تظن أنها لكي تدرس كيمياء أو فيزياء أو أي علم طبيعي يكون

ذلك من خلال القرآن والسنة، ولكن الصحيح أن منطلقي لدراسة أي شيء يكون نابع من فهمي للقرآن والسنة واعتقادي لمنفعة المجتمع والكون كما أمرنا ذلك الإسلام.

النقطة الثانية: أنا أحب في بعض الدراسات الاجتماعية أن تكون دراسات مقارنة مع الآخر ولا يتأتى ذلك إلا بالإطلاع على الآخر لمعرفة سلبياته وإيجابياته، ومن خلال تجربتي الشخصية لدراسة الدكتوراه في روسيا، درست الفلسفة الماركسية وكذلك اللغة الروسية حتى أطلع على الآخر. والحمد لله كانت هذه بداية موفقة وأتاحت لي الفرصة لمعرفة أقصى ما عند الآخر، وقد كان إعدادنا الإسلامي الجيد قبل سفرنا هو الدرع الواقي لنا من الانسياق لأي فكر مخالف لعقيدتنا، وكان ثاني كتاب ألفته سنة ١٩٨٣ هو كتاب "فلسفة العلوم بنظرة إسلامية"، وكان في هذا الوقت المبكر سنة١٩٨٢ أو ١٩٨٣ كان "مصطلح إسلامية المعرفة" جديد، حتى أني جعلت فصل من هذا الكتاب اسمه "أسلمة التفكير العلمي"، على أساس أن "العلم"، حقائق، لكن التفكير يختلف باختلاف ثقافتنا.

كلمة الأستاذ الدكتور/ فتحي ملكاوي

بسم الله الرحمن الرحيم أنا عندي سؤال صغير يتعلق بفلسفة العلم. في ثنايا الكلام وردت عارضًا مفهوم وحدة العلم أو تكامل العلم، نلاحظ بعض العلماء المحدثين بعد الثمانينات علماء الفيزياء والجيولوجيا حتى الرياضيات يتحدثون ويميزون بين الوحدة وبين التكامل، وأنت تعرف ذلك طبعًا، ونحن نتحدث أيضًا عن التكامل المعرفي ونتحدث عن وحدة العلوم. فأين نلتقي وأين نختلف في هذا المفهوم بالذات وأيهما أقرب إلى الرؤية الإسلامية هل الوحدة أم التكامل من منظور فلسفة العلم كما تراه. وشكرًا.

كلمة أ.د. أحمد فؤاد باشا/

بحكم محدودية العقل البشري فعقل الإنسان وصل به إلى درجة التقليد والغرور، وجعل من العقل ندًا فخالف العقل، ولكن العقل قاصر له حدود يجب أن يقف عندها. وقد حدث تطرف لدى العلميين، ونشأت النزعة العلمية المتطرفة وعولوا على العلم في حل كل مشكلات المجتمع ، وتحقيق الجنة الموعودة..الخ،

ونفس الشيء عند التكنوقراط، لدرجة أن بعض الناس رفضوا العلم الذي يؤدي بهم إلى ضد معتقداتهم، وطالبوا بالرجوع إلى الفطرة وأصبحوا حتى ضد الاتجاه العلمي والبحث العلمي، ووحدة العلوم تأتي من أن كل العلوم سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الطبيعية تصب في مصلحة الإنسان، والإنسان هو الذي يتعامل مع هذا الكون بكل ظواهره وبكل ما فيه ويستخلص منه. فالوقوف كثيرًا عند المصطلحات هو مهم لتحديد الهدف من المصطلح، لكن التشويش على معنى التوحيد هو الذي يجب أن نتحاشاه. الله خلق التعددية، وخلق الناس أجناس، وفي علوم التصنيف في النبات والحيوان وكل شيء، لكن كلها يجمع بينها وحدة الخالق سبحانه وتعالى، فنجد في حركة الإلكترون حول الذرة ونجد في حركة الكواكب حول الشمس، ونجد في طواف المسلمين حول الكعبة نفس الاتجاه، حتى أنه يسيروا في عكس اتجاه عقارب الساعة، والعجيب حتى السعي من الصفا والمروة عندما ترك لتحديد الإنسان نجد أنه جاء متوافقًا مع فطرة الخالق.

فإذن كل ما في الكون ينطلق بالتوحيد، وبالخالق الواحد سبحانه وتعالى، ونحن بحكم طبيعتنا وبحكم عمرنا المحدود وبحكم عقلنا المحدود نبحث في القضايا الجزئية، لكن هذه القضايا الجزئية وفلسفة التعميم في النظريات، فعند تسخين الحديد نجده يتمدد، وكذلك النحاس، فيأتي التعميم بأن جميع المعادن تتمدد بالحرارة، ولكن على إطار الكون كله وعلى إطار الإنسان كله وعلى إطار العمر كله لا يجب أن يغيب مفهوم التوحيد، والذي يجب أن تؤدى إليه كافة المعارف وإذا افتقدنا هذا نعيش في تفرق وفي جزئية، تبعد عن وحدة العلم.

كلمة الأستاذ أحمد عبد الرحيم- باحث في كلية أصول الدين- قسم التفسير وعلوم القرآن/

بسم الله الرحمن الرحيم، طبعًا أنا سعيد جدًا بالاستماع هذه الليلة إليكم وإلى هذا الحضور الجميل، لكن أنا أود الرجوع إلى عنوان المحاضرة "فلسفة العلوم والتقنية"، وأرغب أن أشير إلى أن طرفي العنوان وموقعنا نحن المسلمين والعرب خاصة في هذا الزمان بالنسبة لهذين الطرفين. في الحقيقة حضرتك أشرت

إشارات جيدة ومن الجيد أن يتواتر الحديث عنها، عن عمق جهد المسلمين العلمي والتقني عبر العصور، لكن السؤال الهام لماذا توقف هذا الجهد، ولماذا اكتفينا نحن العرب والمسلمين منذ مائة سنة تقريبًا ولم نعد نساهم في الحياة العلمية الآن، ولا نكاد نضيف شيئًا. الذين يضيفون أمثال د. محمد النشنائي أو د. أحمد زويل أو العلماء المسلمون في باكستان والهند وماليزيا وبعض الدول الأخرى. الذين ينجزون لا ينجزون غالبًا –طبعًا هناك استثناءات قليلة جدًا ونادرة –الذين ينجزون لا ينجزون إلا إذا خرجوا من النسق العربي على الأقل، النسق المكاني والثقافي، فربما يحتفظون بهويتهم العربية والإسلامية، ربما يحتفظون بأديانهم، هذا أمر جيد وهو يفيدهم على المستوى الشخصي، لكن لماذا لا ينجز هؤلاء إلا إذا خرجوا من النسق والفضاء العربي بالمعنى الذي ذكرته لكم.

في الحقيقة ثمة سؤال يطرح منذ عدة عقود، والشيخ أبو الحسن الندوي في كتابة الشهير "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" في الحقيقة عند التمحيص وإذا نحينا جانبًا بعض العواطف المشاعر والروحانيات التي نعتز بها جميعًا، إذا نحينا ذلك قليلاً وجدنا أن العالم لم يخسر كثيرًا بانحطاط المسلمين، نعم خسر على نطاق الروح، على نطاق القيمة، على نطاق الأخلاق في بعض المظاهر التي نعرفها جميعًا، لكن العالم لم يتقدم حقيقية إلا وهو بمعزل عن المسلمين، أعلم أنكم ستقولون وهذا مطروح ومعروف وهذا حقيقة علمية، أن الغرب لم يبن حضارته المادية إلا على أسسنا التي وضعها علماؤنا الذين يتواتر الحديث عنهم كما ذكرت حضرتك، فلماذا استفاد الغرب من حضارتنا ورموزنا أكثر مما استفدنا؟ ولماذا لم نعلم عن كثير منهم شيئًا إلا عبر الغرب؟ كما ذكرت حضرتك "كتاب الجوهرتين"، وهذا مثال من أمثلة كثيرة.

الفكرة إذن أننا متخلفون، وأننا في الوقت نفسه ندعي التمسك بالإسلام، وندعي التمسك بروح الإسلام. هل من سبيل إلى نهضة حقيقية يعيد العرب فيها مكانتهم ويتوازنون مع قيم تراثهم الذي يجب أن يعتزوا به بشرط ألا يؤدي هذا إلى الاكتفاء بالتغني بالماضي الجميل والمزدهر الذي كان يومًا، هل هذا ممكن أم أن المشكلة ليست مشكلة العقول بقدر ما هي النظم والإدارات. وشكرًا.

كلمة أ.د. أحمد فؤاد باشا/

الحقيقة لو أنا سألت نفس السؤال، ولكن في نفس الوقت نحن وصلنا فعلاً إلى حالة لا نحسد عليها، ونحن أشبه بإنسان مريض به كل الأمراض، لكن في وسط هذا الظلام نبحث عن بصيص الأمل، والبحث عن هذا البصيص لا يأتي بالجوانب العاطفية التي أشرت إليها، ولكن العمل بالإسلام، فالرسول r عانى في كل مناحي الحياة، وهذه الهزائم ليست نهاية الكون لكن المهم أن يكون عندنا تطلع أو نضع أيدينا على الطريق السليم للإصلاح. فالمسلمون أهدوا إلى الحضارة الإنسانية أهم شيء وهو المنهج السليم، لأنه بدون هذا المنهج ما كان للغرب أو غيره أن يتقدم، إذن يكفي أن الدين عرف لنا كلمة السر وهي المنهج السليم، ولكن المشكلة أننا لم نحافظ على الجوهرة التي بين أيدينا.

عندما يأتي الإسلام والقرآن في أول كلمة ويقول "اقرأ"، ويكون عندك ٦٠% على الأقل من أبناء الأمة الإسلامية لا يعرفون القراءة والكتابة فماذا تنتظر. لما يأتي الإسلام ويدعونا إلى التأمل، العلم عندك مهمش ويأتي في مرتبة أخيرة جدًا كيف تحصل على تقدم. هنا الخلل في المعالجة التي أشرت إليها، في التوافق بين الفكر والواقع، نحن ننتمي إلى دين نجهله ولا نعمل بتعاليمه، فلا ننتظر أي تطور بدون المنهج السليم، فتلوث البيئة على مستوى العالم، نتيجة انحدار في الأخلاقيات، والإنسان يلهث وراء التقدم الصناعي على حساب الآخرين، وهذا سبب انهيار الاتحاد السوفيتي، وسيكون أيضًا سبب لانهيار أمريكا وغيرها. ونحن كلنا نبحث عن إنقاذ العالم على هذه الكرة التي تسبح في الفضاء ولأن هلاكها للناس جميعًا.

لحسن الحظ إن العلم يعالج نفسه، فعند ظهور مشكلات البيئة، فالعلم أيضًا ساهم في علاج بعض مشكلات البيئة، بدأنا نتحدث عن تكنولوجيا نظيفة. ولا يفت من عضدنا تقدمهم التكنولوجي لأننا لو أردنا بجهد متصل ودافعية من قبل القائمين على الأمر، لاستطعنا في وقت قصير تجاوز الفجوة التكنولوجية وانظروا إلى مثال كوريا والهند وماليزيا. بل أتذكر أنني حضرت مؤتمر في اليابان أشار إلى

أن القرآن الكريم أول كتاب معرفة دل الناس على أشياء موجودة في حياتهم وأشياء موجودة في العالم الآخر.

د. أحمد زويل عندما سافر، سافر وسط الستينات وتخصص في الليزر فصنع هذا العلم على عينه وتشربه من الأول، وعرف تطوره، وعمل مع مدرسة متقدمة، وبذكائه استطاع أن يبدع. نحن نفس الشيء يجب أن نطلع على أجيال التكنولوجيا وأجيال النظريات ونتعامل معها. سنظل ندور في فلك التبعية المركب، فمازالت إلى الآن تدرس أشياء في مناهجنا انتهت من الوجود. أولاً نريد وعي بأهمية العلم وتبسيط العلم ونشر الثقافة العلمية.

في مصر أنشئت وزارة للبحث العلمي وبعد إنشائها جعلوها مرة تابعة لوزارة التعليم، ومرة تابعة للتعليم العالي، ومرة تابعة للتربية والتعليم، ثم تبعت الطاقة الذرية ثم ألغيت وزارة البحث العلمي ثلاث سنوات كل هذا تم في خلال خمسة وعشرين عامًا، يعني أنك ليست لديك استراتيجية واضحة للتخطيط للبحث العلمي، فالطريق معروف وكل شيء معروف، فلا ينتظر أحد الآخر، فكل واحد يعمل ما يقدر عليه. ٩٩% من أبحاث الأمة الإسلامية لو ألقي في البحر لن يترك أي فراغ، يجب أن نعرف في أي شيء نبحث فيه، فلدينا الطاقة الشمسية إذا كان فاتنا عصر الفضاء وعصر الطاقة النووية.

وللأمانة أن هذه المجالات لها نواة، لها مبادئ في مصر، على الأقل في حدود علمي، وهناك مدارس بحثية جيدة، لكنها تبقى اجتهادات لم تصل بعد إلى الحد الذي يؤثر في أن يكون عندنا قاعدة علمية سليمة، فعلينا أن نستفيد من تجارب الدول التي مرت بظروف مثل ظروفنا.

وللأمانة نحن أمة مضطهدة فلو الدين عندك صلاة وعبادة سوف يبنوا لك مساجد، ولكن إن بدأت تفهم الفهم الصحيح أن الدين عمل وعلم ستجد حرب شعواء، أنت في موقف صعب، الأنفس تريد أن تتحرر، أمية وجهل، وإذا كانت الأمية الأبجدية ٦٠%، فالأمية العلمية ١٠٠% والله المستعان.

كلمة أ.د. عبد الحميد أبو سليمان/

بسم الله الرحمن الرحيم، أنا أعرف صعوبات تعديل المناهج في بعض البلدان، ما الذي يمنع تعديل مناهج الكيمياء والفيزياء ووضعها بشكل أفضل؟ وشكرًا.

كلمة أ.د. أحمد فؤاد باشا/

في الحقيقة هذا يؤكد ما قلته للدكتور/ أحمد الشاعر أن هناك جزء كبير جدًا علينا نحن فلن أنتظر رئيس الجمهورية من أجل تعديل منهج الفيزياء وهو مفروض على علماء الفيزياء، فأستاذ الجامعة لم يعد هو أستاذ جامعة في الفكر والثقافة والعلم والبحث العلمي، فتدهورنا كثيرًا علميًا، وفي كل شيء، فلماذا كل فئة، في العلوم على الأقل لا تطور نفسها. فيجب توافر عالم بطريقة سليمة حتى يستطيع أن يغير الوضع إلى الأحسن، شكرًا.

أ.د. أحمد الشاعر/

نكرر الشكر للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا، فنرجو أن يمتعنا الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا بلقاء آخر بإذن الله وأقول لإخواننا الكرام أن المعاناة والمشكلة والإحساس بها جزء أساسي من حل المشكلة، ونحن والحمد لله في هذه المعاناة الآن، وهناك إحساس بالمشكلة على كل المستويات وعلى مستوى الدولة، فمشكلة التعليم مشروع قومي ولكن هذا لابد أن يحظى من كل الجهود المتضافرة حتى يوفق الله الجميع لإنقاذ هذه الأمة والسير بها على الطريق السليم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قائمة ببعض المراجع

- د. أحمد فؤاد باشا/ التراث العلمي للحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٣.
- د. أحمد فؤاد باشا/ فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، القاهرة، ١٩٨٤.
- د. أحمد فؤاد باشا/ الثقافة الإسلامية (بالاشتراك)، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٨٥.
- د. أحمد فؤاد باشا/ في فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٧.
- د. أحمد فؤاد باشا/ أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، دار الهداية القاهرة.
- د. أحمد فؤاد باشا/ دراسات إسلامية في الفكر العلمي، دار الهداية القاهرة، ١٩٩٧.
- د. أحمد فؤاد باشا/ الإسلام والعلم والعولمة، كتاب الجمهورية- دار التحرير القاهرة، ٢٠٠٠.
- عباس محمود العقاد/ التفكير فريضة إسلامية، القاهرة، ١٩٧٢.
- د. عبد الحليم الجندي/ القرآن والمنهج العلمي المعاصر، دار المعارف، ١٩٨٤.
- سيد قطب/ خصائص التصور الإسلامية ومقوماته، دار الشروق، ١٩٨٥.
- د. صلاح قنصوه/ فلسفة العلم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨١.
- رينيه ديبو/ رؤى العقل، ترجمة فؤاد صروف، بيروت، ١٩٦٢.
- ج. د. برنال/ العالم في التاريخ، ترجمة د. علي ناصف، المؤسسة العربية، ١٩٨١.
- د. عبد الحليم محمود/ الإسلام والعقل، دار المعارف، ١٩٨٥.
- فيرنر هيزنبرج/ المشاكل الفلسفية للعلوم النووية، الترجمة العربية، القاهرة، ١٩٧٢.

- كارل بوبر/ منطق الكشف العلمي- الترجمة العربية، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٨.
- جيمس جيتر/ الفيزياء والفلسفة، الترجمة العربية، دار المعارف، ١٩٨١.
- ألبرت أينشتين وليو أنفلد/ تطور علم الطبيعة، الأنجلو المصرية، ١٩٥٩.
- محمد فرحات عمر/ طبيعة القانون العلمي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.
- فيليب فرانك/ فلسفة العلم، الترجمة العربية، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٣.
- أغروس وتسانسيو/ العلم في منظوره الجديد، الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧.
- توماس كون/ بنية الثورات العلمية الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت.
- رشدي لبيب/ نمو المفاهيم العلمية، القاهرة، ١٩٧٤.
- توماس كون/ بنية الثورات العلمية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢.
- بول موي/ المنطق وفلسفة العلوم، الترجمة العربية، القاهرة، ١٩٧٢.
- جورج سارتون/ تاريخ العلم (عدة أجزاء)، القاهرة، ١٩٦١.
- د. فؤاد زكريا/ التفكير العلمي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٨.
- ياسين خليل/ منطق المعرفة العلمية، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧١.
- رينيه تاتون/ تاريخ العلوم العام، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨٨.
- د. علي سامي النشار/ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.
- جون ديكسون/ العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، عالم المعرفة، ١٩٨٧.